والديلم وأدت إلى قتال دام خمسة أيام وانضم بهاء الدولة إلى الأتراك فاشتد الأمر على الديلم ومع ما حصل من الصلح بين الفريقين فإن الديلم قد ضعفت شوكتهم وتغلب الأتراك عليهم. وكانت بينه وبين آل بيته فتن كثيرة بسبب طمعهم فيما بيده من الملك ومحاولتهم سلبه منه ولكنهم أخفقوا.

وفي (سنة ٣٨١) قبض بهاء الدولة على الطائع لله وذلك أن الأموال قلت عنده فشغب عليه الجند فأطمعه وزيره في أموال الخليفة وحسن له القبض عليه فأرسل إلى الطائع وسأله الإذن في الحضور ليجدد العهد به فأذن له في ذلك وجلس له كما جرت العادة فدخل إليه بهاء الدولة ومعه عدد كثير فلما دخل قبل الأرض وأجلس على كرسي فدخل بعض الديلم كأنه يريد أن يقبل الخليفة فجذبه فأنزل عن سريره والخليفة يقول إنا لله وإنا إليه راجعون ويستغيث فلا يلتفت إليه وأخذ ما في داره من الذخائر ومن قول الشريف محمد بن الحسين الرضي في ذلك:

من بعد ما كان رب الملك مبتسماً ... إلى أدنوه في النجوى ويدنيني
أمسيت أرحم من أصبحت أغبطه ... لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني ... يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني
هيهات أغتر بالسلطان ثانية ... قد ضل ولاج أبواب السلاطين

ولما حمل الطائع إلى دار بهاء والدولة أشهد عليه بالخلع.

٢٥ ـ القادر

هو أبو العباس أحمد القادر بالله ابن إسحاق بن المقتدر بن المعتضد وأمه أم ولد اسمها دمنة بويع بالخلافة في (١٢ رمضان سنة ٣٨١) (٣ أكتوبر سنة ٩٩١) واستمر خليفة إلى أن توفي في غاية ذي الحجة (سنة ٤٢٢) (١٨ ديسمبر سنة ١٠٣١) فكانت مدته (٤١ سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوماً).

كان أبو العباس لما مات أبوه إسحاق بن المقتدر جرى بينه وبين أخت له منازعة في ضيعة وطال الأمر بينهما ثم إن الطائع مرض مرضاً أشفى منه ثم أبل فسعت إليه بأخيها وقالت له إنه شرع في طلب الخلافة عند مرضك فتغير رأيه فيه وأرسل في القبض عليه فلما وصلت إليه رسل الطائع خرج عن داره واستتر ثم سار إلى البطيحة فنزل على صاحبها مهذب الدولة أبي الحسن علي بن نصر صاحب البطيحة فأكرم نزله ووسع عليه وحفظه وبالغ في خدمته وكان ذلك في (سنة ٣٧٩) فأقام عنده حتى قبض بهاء الدولة على الطائع فذكر من يصلح للخلافة فأجمع رأيه ورأى مستشاريه على أبي العباس فأرسل إليه بهاء الدولة خواص أصحابه ليحضروه إلى بغداد ليتولى الخلافة

وشغب الديلم ببغداد ومنعوا من الخطبة فقيل على المنبر (اللهم أصلح عبدك وخليفتك القادر باللّه) ولم يذكروا اسمه. ولما وصلت الرسل إلى القادر باللّه انحدر معهم وقام مهذب الدولة بخدمته خير قيام وحمل إليه من المال وغيره ما يحمله كبار الملوك للخلفاء وشيعه فسار القادر باللّه إلى بغداد فلما دخل جيل انحدر بهاء الدولة وأعيان الناس لاستقباله وساروا في خدمته فدخل دار الخلافة ثاني عشر رمضان وبايعه بهاء الدولة والناس وخطب له ثالث عشر رمضان.

والقادر هو ثالث خليفة عباسي لم يكن أبوه خليفة.

معاصرو القادر من الملوك:

كان الخليفة بالأندلس هشام بن الحكم الملقب بالمؤيد إلى (سنة ٣٩٩) ثم خلفه محمد المهدي بن عبد الجبار بن عبد الرحمٰن الناصر إلى (سنة ٤٠٣) وقد ثار عليه سليمان المستعين بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمٰن الناصر فأخذ منه قرطبة وكانت بينهما خطوب إلى أن قتل المهدي وانتهت مدة المستعين (٤٠٨) ثم كانت البلاد الأندلسية ميداناً للنزاع بين أعقاب الأمويين والعلويين من ذرية إدريس بن عبد اللّه فكانت الحال هناك في اضطراب يشبه ما كان في الشرق ويزيد عليه.

وكان الأمير بإفريقية من آل زيرى النائبين عن الدولة الفاطمية المنصور بن يوسف بلكين إلى (سنة ٣٨٦) ثم ابنه باديس إلى (سنة ٤٠٦) ثم المعز بن باديس إلى (سنة ٤٥٣) وكان الخليفة بمصر والشام من الدولة الفاطمية العزيز باللّه نزال إلى (سنة ٣٧٦) ثم ابنه الحاكم بأمر اللّه منصور إلى (سنة ٤١١) ثم ابنه الظاهر لإعزاز دين اللّه (سنة ٤٢٧).

وفي عهده ابتدأت الدولة النجاحية بزبيد على أطلال الدولة الزيادية وكان ابتداؤها على يد المؤيد نجاح (سنة ٤١٢) وهو مولى موالي آل زياد وأصله عبد حبشي سمت به همته إلى أن تولى ملك تهامة اليمن وعاد إليها وقد استمر ملكها فيه وفي أعقابه إلى (سنة ٥٥٤) وهذا ثبتهم:

١ ـ المؤيد نجاح ..... ٤١٢ ـ ٤٥٢
فترة على الداعي الصليحي ..... ٤٥٢ ـ ٤٧٣
٢ ـ سعيد الأحوال بن نجاح ..... ٤٧٣ ـ ٤٨٢
٣ ـ جياش بن نجاح ..... ٤٨٢ ـ ٤٩٨
٤ ـ فاتك بن جياش ..... ٤٩٨ ـ ٥٠٣
٥ ـ منصور بن فاتك ..... ٥٠٣ ـ ٥١٧
٦ ـ فاتك بن منصور ..... ٥١٧ ـ ٥٣١

٧ ـ فاتك بن محمد بن فاتك ..... ٥٣١ ـ ٥٥٤

وانتقل الملك عنهم إلى الدولة المهدية وسيأتي حديثها إذ ذاك.

أما الجزيرة الفراتية وما إليها من حوض الفرات فكانت منقسمة إلى ثلاث إمارات وهي ديار ربيعة وحاضرتها الموصل وديار بكر وحاضرتها آمد وديار مضر وحاضرتها الرقة:

ففي عهد القادر ظهرت الدولة العقلية التي أسسها أبو الذواد محمد بن المسيب بن رافع بن مقلد العقيلي بالموصل ولم يكن له تمام الاستقلال بل كان معه نائب من قبل بهاء الدولة الديلمي إلا أن النفوذ الفعلي كان لأبي الذواد ولم يزل كذلك حتى توفي (سنة ٢٨٦) فخلفه أخوه حسام الدولة المسيب بن المقلد. وكان الاتفاق أن يتولى الموصل والكوفة والقصر والجامعين ولم يزل يليها إلى أن قتل (سنة ٣٩١) فخلفه ولده أبو المنيع معتمد الدولة قرواش بن المقلد ومن أهم حوادثه السياسية أنه خطب للحاكم بأمر اللّه العلوي صاحب مصر بأعماله كلها وهي الموصل والأنبار والمدائن والكوفة وغيرها وكان ابتداء الخطبة بالموصل (الحمد للّه الذي انجلت بنوره غمرات العصب وانهدت بقدرته أركان النصب واطلع بنوره شمس الحق من العرب) فأرسل القادر باللّه القاضي أبا بكر بن الباقلاني شيخ الأشعرية ببغداد إلى بهاء الدولة يعرفه ذلك فأكرم بهاء الدولة القاضي وكتب إلى نائبه ببغداد يأمره أن يسير لحرب قرواش فسار عميد الجيوش لحربه ولما علم بذلك أرسل يعتذر وأعاد خطبة القادر باللّه.

وقد استمرت هذه الدولة العربية بالموصل إلى (سنة ٤٨٩) وانتهت على يد السلاجقة كما انتهت الدولة الديلمية وهذا ثبت ملوكها.

١ ـ حسام الدولة المقلد بن المسيب ..... ٣٨٦ ـ ٣٩١

٢ ـ معتمد الدولة قرواش بن المقلد ..... ٣٩١ ـ ٤٤٢

٣ ـ زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلد ..... ٤٤٢ ـ ٤٤٣

٤ ـ علم الدولة أبو المعالي قرواش بن بدران بن المقلد ..... ٤٤٣ ـ ٤٥٣

٥ ـ شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قرواش ..... ٤٥٣ ـ ٤٧٨

٦ ـ إبراهيم بن قرواش ..... ٤٧٨ ـ ٤٨٦

٧ ـ علي بن مسلم بن قرواش ..... ٤٨٦ ـ ٤٨٩

وفي ديار بكر ظهرت دولة الأكراد من آل مروان على يد مؤسسها أبي علي الحسين بن مروان قام بالأمر (سنة ٣٨٠) بعد خاله باذ الذي قدمنا حديثه وضبط ديار بكر أحسن ضبط وأحسن إلى أهلها وألان جانبه لهم ثم تزوج ست الناس بنت سيف الدولة ولم يكن ملكاً إلى أن قتل (سنة ٣٨٧) فخلعه أخوه ممهد الدولة أبو منصور بن مروان إلى أن قتل (سنة ٤٠٢) فتولى بعده

أخوه أبو نصر نصر الدولة أحمد بن مروان وهو واسطة عقد آل مروان فإن أيامه طالت وأحسن السيرة جداً وكان مقصوداً من العلماء في كافة الأقطار فكثروا ببلاده وممن قصده أبو عبد اللّه الكازروني وعنه انتشر مذهب الشافعي رحمه اللّه بديار بكر وقصده الشعراء فأجزل مواهبهم ويبقى كذلك إلى (سنة ٤٥٣) وكانت الثغور معه آمنة وسيرته في رعيته أحسن سيرة وولي ابنه نظام الدولة نصر إلى (سنة ٤٧٢) ثم منصور بن نصر إلى (سنة ٤٨٩) وعلى يده انتهت دولتهم بملك آل سلجوق لها.

أما ديار مصر فقد استولى عليها لأول عهد القادر بكجور الذي كان والياً على دمشق للعزيز باللّه الفاطمي خليفة مصر وفي (سنة ٣٨٧) عزله عنها فتوجه إلى الرقة فاستولى عليها وعلى الرحبة وما يجاورها ثم راسل بهاء الدولة ملك العراق في الانضمام إليه وكاتب أيضاً باذ الكردي والمتغلب على ديار بكر وكذلك راسل سعد الدولة بن سيف الدولة صاحب حلب بأن يعود إلى طاعته ويعطي مدينة حمص كما كانت له فلم يجبه واحد منهم إلى شيء فبقي بالرقة يراسل جماعة من مماليك سعد الدولة ويستميلهم فأجابوه وحينئذ أغرى العزيز باللّه نزاراً صاحب مصر على قصد حلب فأجابه وأرسل إليه العساكر تتصرف بأمره ولكنه لم ينجح لأن سعد الدولة استعان عليه بوالي إنطاكية الرومي وبالعرب الذين مع بكجور فكانت النتيجة فشل بكجور وقتله ثم سار سعد الدولة إلى الرقة فاستولى عليها من وزير بكجور وأخذ أولاد بكجور وأمواله ثم إن سعد الدولة هلك بعقب ذلك فأرسل أهل الرحبة إلى بهاء الدولة يطلبون إليه أن ينفذ من يتسلم بلدهم فأنفذ لهم أميراً تسلمها ولم يتمكن من الاستيلاء على الرقة ولم تمكث الحال على ذلك كثيراً فإن البلاد انتقلت إلى حوزة العلويين من أصحاب مصر وصاحب يخطب لهم بالرقة والرحبة إلا أن سلطانهم كان اسمياً والنفوذ إلى رؤساء القبائل المضرية فكان فيها أولاد أبو علي بن ثمال الخفاجي ثم استولى عليها عيسى ابن خلاط العقيلي ثم صار أمرها إلى صالح بن مرداس الكلابي وكان محسناً للرعية ويدعو للعلويين.

أما حلب فكان السلطان بها لأول عهد القادر باللّه لسعد الدولة بن سيف الدولة ابن حمدان وكان قد عصى عليه بكجور الذي تقدم ذكره وهو أحد مماليك أبيه وغزاه من الرقة بعساكر خليفة مصر العلوي ولكنه لم يفز وقتل كما قدمنا وتسبب عن ذلك أن سعد الدولة أراد أن يأخذ دمشق ليأخذها من يد العزيز باللّه فمات عقب خروجه (سنة ٣٨٢) وعهد لابنه أبي الفضائل وأوصى به لؤلؤاً أحد مماليك أبيه سيف الدولة فلما توفي سعد الدولة قام ابنه مقامه وأخذ له لؤلؤ العهد على الأجناد.

كان خليفة مصر لا يزال يتطلع إلى الاستيلاء على حلب فسير إليها جيشاً من دمشق عليه

منجوتكين أحد أمرائه ولما كانت عساكره كثيرة ولا قبل للؤلؤ بمقاومتها استنجد بملك الروم بسيل فأرسل إلى نائبه بأنطاكية يأمره أن ينجد أبا الفضائل فسار إليه بحلب حتى نزل على الجسر الجديد بالعاصي. ولما سمع منجوتكين الخبر سار إلى الروم ليقابلهم قبل اجتماعهم بأبي الفضائل وعبر إليهم العاصي وأوقع بهم وقعة شنيعة وسار إلى أنطاكية فنهب بلدهم وقراها وأحرقها. وأنفذ أبو الفضائل إلى بلد حلب فنقل ما فيه من الغلال وأحرق الباقي إضراراً بعساكر مصر. وعاد منجوتكين إلى حلب فحصرها فأرسل لؤلؤ إلى رؤساء المصريين يبذل لهم مالاً ليردوا منجوتكين عنهم هذه السنة بعلة تعذر الأقوات ففعلوا ذلك وكان منجوتكين قد ضجر من الحرب فأجابهم وعاد إلى دمشق ولكن ذلك لم يعجب العزيز بالله وكتب بإعادة الكرة على حلب وأرسل الأقوات من مصر إلى طرابلس بحراً ومنها إلى العسكر فنازل المصريون حلب وأقاموا عليه ثلاثة عشر شهراً فقلت الأقوات بحلب وعاد لؤلؤ إلى مراسلة ملك الروم متعضداً به وقال متى أخذت حلب أخذت أنطاكية وعظم عليك الخطب فجاء ملك الروم منجداً له فلما علم منجوتكين بقرب وروده سار عن حلب فجاء ملك الروم فنزل عليها وخرج إليه أبو الفضائل ولؤلؤ ثم سار بسيل إلى الشام ففتح حمص وشيزر ونهبها وسار إلى طرابلس فنازلها فامتنعت عليه وأقام عليها نيفاً وأربعين ليلة ولما أيس منها عاد إلى بلاده. ولما علم العزيز بتلك الأخبار عظم الأمر عليه ونادى في الناس بالنفير لغزو الروم فحال موته دون ذلك.

لم يزل الأمر لأبي الفضائل حتى (سنة ٤٠٢) حيث غزاه صالح بن مرداس الكلابي وكان السلطان الحقيقي في حلب للؤلؤ وكان يخطب باسم الحاكم بأمر الله العلوي بمقتضى اتفاق عقد بين الطرفين بعد الحوادث المتقدمة. غزاه صالح وبنو كلاب وغلبوه وأخذوه أسيراً وكان صالحاً أطلقه مقابل مائتي ألف دينار ومائة ثوب وإطلاق كل أسير عنده من بني كلاب. ثم إن غلاماً لابن لؤلؤ كان يتولى القلعة غدر به وكاتب الحاكم بأمر الله وأظهر طاعته وأظهر العصيان لأستاذه فخرج ابن لؤلؤ من حلب إلى صاحب أنطاكية فأقام عنده وصارت حلب من البلاد التابعة لصاحب مصر يتناوبها نواب يرسلها من قبله حتى صار بيد انسان من الحمدانية يعرف بعزيز الملك قدمه الحاكم واصطنعه وولاه حلب ولما مات الحاكم وولى الظاهر عصى عليه فوضعت ست الملك أخت الحاكم فراشاً له على قتله فقتله.

وفي (سنة ٤١٤) اتفق ثلاثة من أمراء العرب وهم حسان أمير طيىء وصالح بن مرداس أمير بني كلاب وسنان بن عليان على أن يكون من حلب إلى عانة لصالح بن مرداس ومن الرملة إلى مصر لحسان ودمشق لسنان. فقصد صالح حلب فاستولى عليها من يد عامل الصريين وكان الحلبيون يحبون صالحاً لإحسانه إليهم ولسوء سيرة أمراء العلويين معهم فملك من بعلبك إلى عانة

وأقام بحلب ست سنين وفي (سنة ٤٢٠) جهز الظاهر صاحب مصر جيشاً سيره إلى الشام لقتال صالح وحسان وكان مقدم الجيش أنوشتكين البربري والالتقاء عند طبرية فقتل في الموقعة صالح وابنه ونجا ولده أبو كامل نصر بن صالح فجاء إلى حلب وملكها وكان يلقب بشبل الدولة وقد استمرت الدولة المرداسية بحلب إلى (سنة ٤٧٢) وهذا ثبت ملوكها:

١ ـ صالح بن مرداس ..... ٤١٤ ـ ٤٢٠
٢ ـ شبل الدولة أبو كامل نصر ..... ٤٢٠ ـ ٤٢٩
الفاطميون ..... ٤٢٩ ـ ٤٣٤
معز الدولة أبو علوان طمل بن صالح ..... ٤٣٤ ـ ٤٤٩
الفاطميون ..... ٤٤٩ ـ ٤٥٢
رشيد الدولة محمود بن شبل الدولة ..... ٤٥٢ ـ ٤٥٣
معز الدولة (ثانياً) ..... ٤٥٣ ـ ٤٥٤
أبو ذؤابة عطية بن صالح ..... ٤٥٤ ـ ٤٥٤
رشيد الدولة (ثانية) ..... ٤٥٤ ـ ٤٦٨
جلال الدولة نصر بن رشيد الدولة ..... ٤٦٨ ـ ٤٦٨
أبو الفضل سابق بن رشيد الدولة ..... ٤٦٨ ـ ٤٨٢

وهذا آخرهم وقد انتهى أمرهم على يد الدولة العقيلية التي تقدم ذكرها.

في المشرق:

كانت المملكة السامانية بما وراء النهر بخراسان تنهار قواعدها وتتزلزل جوانبها كانت أميرها نوح بن منصور وقد نشأ بالشرق دولة تركية صاحب الأمر فيها شهاب الدين هارون بن سليمان بن أيلك خان المعروف ببغراخان وكان دولته جديدة أمام دولة رثت بكثرة الاختلاف ففي (سنة ٣٨٣) غزا بغراخان نوخان في بخارى بممالأة أبي الحسن سمجور أمير خراسان لنوح وكان القصد أن يملك الأول ما وراء النهر كله والثاني أقليم خراسان فسار بغراخان نحو بخارى واستولى على بلادها شيئاً بعد شيء ثم نازل بخارى فاختفى نوح وملكها بغراخان ونزلها وخرج منها نوح مستخفياً فعبر النهر إلى آمد وأقام بها ولحق به أصحابه يريد إعادة الكرة على بخارى وصادف أن أصاب بغراخان مرض ثقيل اضطر بسببه للانتقال نحو بلاده وبينما هو سائر أدركه أجله ولما سمع نوح بذلك عاد إلى دار ملكه وولى الترك بعد بغراخان ابنه أيلك خان ـ ثم مات بعقب ذلك نوح (سنة ٣٨٧) وخلفه ابنه منصور وبايعه الأمراء والقواد.

ولما بلغ أيلك خان وفاة نوح سار إلى سمرقند وسير الجنود لأخذ بخارى يقدمها فائق أحد

القواد السامانية قبلاً فاستولى عليها ولكنه اتفق مع منصور بن نوح أن يكون اسم الملك لمنصور والسلطان لفائق فاستمرت الحال ذلك إلى أن اتفق فائق وبكتوزون قائد الجنود السامانية على القبض على منصور فقبضا عليه وأقاما مقامه أخاه عبد الملك وهو صبي صغير وأعقب ذلك موت فائق وهو مدبر الأمر فارتبك أمرهم وكان نجم الدولة البكتكينية قد بزغ بخراسان أيلك خان إلى بخارى وأظهر لعبد الملك المودة والموالاة والحمية له فظنوه صادقاً ولم يحترسوا منه وخرج إليه بكتوزون وبقية الأمراء فلما اجتمعوا قبض عليهم وسار حتى دخل بخارى يوم الثلاثاء عاشر ذي الحجة (سنة ٣٨٩) فلم يدر عبد الملك ما يصنع فاختفى فنزل أيلك خان دار الإمارة وبث الطلب والعيون على عبد الملك حتى ظفر به فأودعه بافكند فمات بها وهو آخر ملوك الدولة السامانية وانقضت بموته دولتهم كأن لم تغن بالأمس وكانت هذه الدولة قد انتشرت ودخل في حوزتها من حدود حلوان إلى بلاد الترك بما وراء النهر وكانت من الدولة العلمية الكبرى ولم يزل أمرهم على سداد حتى ظهرت دولة الترك الأيكلخانية فأخذت منهم ولايات ما وراء النهر وظهرت دولة ابن سبكتكين فأخذت منهم خراسان.

الدولة السبكتكينية:

من ضمن أعمال الدولة السامانية غزنة وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة طرف خراسان وهي الحد بين خراسان والهند ويلفظها الخاصة غزنين وكان صاحب جيشها إسحاق بن البتكين وكان ضمن غلمانه سبكتكين وهو المقدم عنده وعليه مدار أمره قام بخارى أيام الأمير منصور بن نوح مع أستاذه إسحاق فعرفه أرباب تلك الدولة بالعقل والعفة وجودة الرأي والصرامة وعاد معه إلى غزنة فلم يلبث إسحاق أن توفي فاجتمع جنده على سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروءته وخلال الخير فيه فوليهم وأحسن السيرة فيهم وساس أمورهم سياسة حسنة وجعل نفسه كأحدهم في الحال والمال وكان يأخر من أقطاعه ما يعمل منه طعاماً لهم في كل أسبوع مرتين وكان جنده يطيعونه طاعة تامة فغزا بهم ما جاوره من بلاد الهند حتى خافه ملوك تلك البلاد ثم استولى على مدينة بست وقصدار ولما رأى ملك الهند جيبال ما دهاه وأن بلاده تملك من أطرافها حشد جموعه وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين فخرج هذا إليه من غزنة وأوقع به وقعة شنيعة على حدود بلاده فأرسل ملك الهند إلى سبكتكين يطلب صلحه فأجابه إلى ذلك على مال يؤديه إليه وبلاد يسلمها وخمسين فيلاً يحملها إليه واستقر الأمر على ذلك ولما أبعد ملك الهند ورأى نفسه في مأمن خاس بعهده فسار سبكتكين نحوه حتى وردلفان وهي من أحسن قلاعهم فافتتحها عنوة وهدم بيوت الأصنام وأقام فيها شعار الإسلام ولما علم جيبال حشد الجيوش مرة ثانية لحرب سبكتكين فكان نصيبه الفشل والهزيمة فقوي سبكتكين بهذا الانتصار وأطاعه من أجله الأفغان والخلج.

وفي (سنة ٣٨٤) لما ثارت الفتن والقلاقل بالبلاد الخراسانية رأى الأمير نوح بن منصور أن يكل أمرها إلى سبكتكين ليكسر من جناح قواده الذين جاهروا بعصيانه فكتب إليه وهو بغزنة يطلعه على الأحوال ويأمره بالمسير إليه لينجده وولاه خراسان فأجاب إلى ذلك سبكتكين وجمع العساكر وحشدها ولما بلغ قائدي نوح الخبر وهما فائق وأبو علي بن سيمجور راسلا فخر الدولة بن بويه يستنجدانه ويطلبان منه عسكراً فأجابهما إلى ذلك وسير إليهما عسكراً كثيراً وكانت الواقعة بين هذين الجيشين بنواحي هراة فكان الظفر لسبكتكين ثم سار نحو نيسابور التي انهزم إليها أبو علي وفائق فلما علما بالخبر سارا نحو جرجان واستولى نوح بن منصور بمعونة سبكتكين وجيشه على خراسان فولاه محمود بن سبكتكين وسماه سيف الدولة ولقب أباه ناصر الدولة فأحسن السيرة وأقام محمود بنيسابور وعاد نوح إلى بخارى وسبكتكين إلى هراة.

لما علم أبو علي بمبارحة سبكتكين ونوح نيسابور طمع في استردادها فقدم إليها ومعه فائق فخرج إليهما محمود وقاتلهما ولما كانت رجاله قليلة لم تمكنه المقاومة فانهزم عنهما قاصداً أباه فلما استقر هذا الخبر عند سبكتكين جمع الجند وأتى ممداً لابنه فتقابلت جنوده مع جنود أبي علي بنواحي طوس فانهزم أبو علي هزيمة منكرة ولم يرتفع له بعد ذلك ذكر وصفت خراسان لسبكتكين.

وفي (سنة ٣٨٧) توفي سبكتكين بعد بلخ وغزنة ودفن بغزنة بعد ملك دام عشرين سنة وكان عادلاً خيراً كثير الجهاد ذا مروءة تامة وحسن ووفاء وعهد بالملك من بعده لابنه إسماعيل. وكان أصغر من أخيه محمود فاستضعف الجند وأرسل إليه محمود من نيسابور يقول له إن أباك إنما عهد إليك لبعدي عنه وذكره ما يتعين من تقديم الكبير على الصغير ويطلب منه الوفاق وإنفاذ ما يخصه من تركة أبيه فلم يفعل وكان ذلك داعياً إلى أن محموداً قصده بغزنة واستولى عليها ولكنه عامل أخاه معاملة كريمة ولما تم له أمر غزنة واستقام له الملك عاد إلى بلخ ومحمود هذا هو ثالث آل سبكتكين وواسط عقدهم لقبه الخليفة القادر بيمين الدولة. وكانت هناك بعض مناوشات بينه وبين قواد السامانية انتهت بالنصر والتمكين له في خراسان فأزال عنها اسم السامانية وخطب للقادر باللّه (سنة ٣٨٩) وجعل أخاه نصراً قائداً لجند نيسابور وسار هو إلى بلخ فاتخذها دار ملك له واتفق أصحاب الأطراف على طاعته.

كان عهد محمود عهد ارتفاع وقوة فوسع أملاكه فقد كانت في الأصل بلاد غزنة ثم ضم بلاد الغور وهي جبال ووديان بين هراة وغزنة وأكبر ما فيها قلعة يقال لها فيروزكوه. ثم أدخل جزءاً عظيماً من بلاد الهند تحت سلطانه حتى وصل إلى قشمير فأسلم صاحبها على يده وأسلم كذلك كثير من ملوك الهند وقد عبر نهر الكنج في فتوحاته. ومن الجهة الأخرى ضمت إليه خراسان

والري والجبال ودانت له ملوك طبرستان وجرجان ولم يزل في عزه وسلطانه إلى أن أدركته الوفاة (سنة ٤٢١) عهد بالملك من بعده لابنه محمد وكان أصغر من مسعود ولقب بجلال الدولة إلا أن ذلك لم يرق لأخيه مسعود فسار إليه وأخذ الملك منه وتوفي القادر باللّه والملك في آل سبكتكين لمسعود بن سبكتكين وقد استمرت الدولة في أعقاب هذا البيت إلى (سنة ٥٨٢) وهذا ثبت ملوكها:

١ ـ سبكتكين ..... ٣٦٦ ـ ٣٨٧
٢ ـ إسماعيل بن سبكتكين ..... ٣٨٧ ـ ٣٨٨
٣ ـ يمين الدولة محمود بن سبكتكين ..... ٣٨٨ ـ ٤٢١
٤ ـ جلال الدولة محمد بن محمود ..... ٤٢١ ـ ٤٢١
٥ ـ ناصر دين اللّه مسعود ..... ٤٢١ ـ ٤٣٢
٦ ـ شهاب الدولة مودود بن مسعود ..... ٤٣٢ ـ ٤٤٠
٧ ـ مسعود بن مودود ..... ٤٤٠ ـ ٤٤٠
٨ ـ بهاء الدولة أبو الحسن على بن مسعود بن محمود ..... ٤٤٠ ـ ٤٤٠
٩ ـ عز الدولة عبد الرشيد بن محمود ..... ٤٤٤ ـ ٤٤٤
١٠ ـ جمال الدولة فرخزاد بن مسعود بن محمود ..... ٤٤٤ ـ ٤٥١
١١ ـ ظهير الدولة إبراهيم بن عبد الرشيد ..... ٤٥١ ـ ٤٩٢
١٢ ـ علاء الدولة مسعود بن إبراهيم ..... ٤٩٢ ـ ٥٠٨
١٣ ـ كمال الدولة شيرزاد بن مسعود ..... ٥٠٨ ـ ٥٠٩
١٤ ـ سلطان الدولة أرسلان بن مسعود ..... ٥٠٩ ـ ٥١٢
١٥ ـ يمين الدولة بهرام شاه بن مسعود ..... ٥١٢ ـ ٥٤٧
١٦ ـ معز الدولة خسرو شاه بن بهرام شاه ..... ٥٤٧ ـ ٥٥٥
١٧ ـ تاج الدولة خسرو ملك بن خسرو شاه ..... ٥٥٥ ـ ٥٨٢

وكان انقضاء هذه الدولة على يد الدولة الغورية.

كان بجرجان من الدولة الزيادية شمس المعالي قابوس بن وشمكير إلى (سنة ٤٠٣) ثم فلك المعالي منوجهر بن بستون بن وشمكير إلى (سنة ٤٢٠) ثم أنو شروان بن قابوس إلى (سنة ٤٣٤) وهو الذي انتهى على يده ملك أهل بيته على يد الدولة الغزنوية.

أما السلطان ببلاد العراق فكان لأربعة ملوك من آل بويه يتلو أحدهم الآخر الأول بهاء الدولة أبو نصر عضد الدولة وهو الذي ولى القادر الخلافة وكان عهده عهد اضطراب بينه وبين أهل بيته

فأضعف ذلك من سلطانه وآذن البيت كله بالانحلال وكانت وفاته (سنة ٤٠٣) وكان في سلطانه العراق والأهواز وفارس وكرمان.

الثاني سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة ولم يكن عهده أحسن من عهد أبيه بل كان عهد ضعف واستكانة فإن جنده ما كانوا يطيعونه وكثيراً ما شغبوا عليه يطلبون منه طلبات لا يقدر عليها وكان ذلك سبباً لقيام أخيه وهو:

الثالث شرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة قام على أخيه وانتزع منه ملك العراق فخطب له ببغداد في آخر المحرم (سنة ٤١٢) ونفي سلطان الدولة عن العراق فذهب إلى بلاد فارس وضبطها ثم اصطلح الأخوان على أن يكون لشرف الدولة العراق ولسلطان الدولة فارس وكرمان إلا أن مدة سلطان الدولة لم تطل فإنه توفي (سنة ٤١٥) بشيراز وخلفه ابنه أبو كاليجار وفي ربيع الأول (سنة ٤١٦) توفي شرف الدولة وكان كثير الخير قليل الشر عادلاً حسن السيرة.

الرابع جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة خطب له ببغداد بعد وفاة أخيه وكان إذ ذاك بالبصرة والياً عليها وطلب إلى بغداد فلم يصعد إليها وإنما بلغ واسطاً وأقام بها ثم عاد إلى البصرة فقطعت خطبته لابن أخيه أبي كاليجار بن سلطان الدولة الذي كان صاحب الأهواز وكان بها وراسله الجند في ذلك فوعدهم أن يجيء ولكنه تأخر لما كان بينه وبين عمه أبي الفوارس صاحب كرمان من الحرب فازدادت الفتن ببغداد لعدم السلطان وكثر شر الأتراك بها ولما رأى ذلك عقلاء القواد راسلوا جلال الدولة ليصعد إليهم فيملك أمرهم وخطبوا باسمه في جمادى الأولى (سنة ٤١٨) فما عتم أن صعد إليهم وملك أمرهم ولكن لم يكن عنده من المال ما يضمن راحتهم وراحته فكثر الشغب عليه من الجند وأتراك بغداد حتى كادوا يخلعونه وكان ينازعه أخوه أبو كاليجار. وانتهت مدة القادر باللّه وهما على ذلك النزاع.

لم يكن للخليفة القادر باللّه شيء من السلطان كمن مضى في عهد سلاطين ابن بويه إلا أن ضعف البيت المُلك أحيا له شيئاً من الكلمة والنفوذ وكان فيه من خلال الخير ما يساعد على ذلك فقد كان حليماً كريماً خيراً يحب الخير وأهله ويأمر به وينهى عن الشر ويبغض أهله وكان حسن الاعتقاد صنف كتاباً على مذهب أهل السنة والجماعة وكان يخرج من داره في زي العامة ويزور قبور الصالحين وإذا وصل إليه حال أمر فيه بالحق.

وكان في زمنه أحداث عظام في جميع الأصقاع الإسلامية من قيام دول وإبادة أخرى وكلها تهتف على منابرها باسمه وتتقلد الولايات منه إلا ما كان من البلاد التي تحت يد الدولة المضرية فإنها كانت تخطب باسم أئمتها ومع ذلك فإن المعز بن باديس صاحب المغرب والقيروان دعا باسم القادر على منابر بلاده.

توفي القادر باللّه في ذي الحجة (سنة ٤٣٢) وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر وخلافته (٤١ سنة وثلاثة أشهر وعشرون يوماً).

٣٦ ـ القائم

هو أبو جعفر عبد اللّه القائم بأمر اللّه. ولي الخلافة بعد أبيه بعهد منه وكانت بيعته في ذي الحجة (سنة ٤٢٢) (نوفمبر سنة ١٠٣١) وبقي خليفة إلى (٣ شعبان سنة ٤٦٧) (٣ إبريل سنة ١٠٧٥) فكانت مدته (٤٤ سنة و٢٥ يوماً).

كان سلطان العراق لأول عهده جلال الدولة بن بهاء الدولة ولم يكن أمره في سلطانه على سداد لكثرة شغب الغلمان والأتراك عليه طالبين مرتباتهم التي لم يكن يقدر على أدائها في أوقاتها لقلة الوارد عليه فلم تجيء (سنة ٤٢٦) إلا وقد انحل أمر الخلافة والسلطنة جميعاً ببغداد حتى أن بعض الجند خرجوا إلى قرية يحيى فلقيهم أكراد فأخذ دوابهم فعادوا إلى قراح الخليفة فنهبوا شيئاً ممن ثمرته وقالوا للعمال فيه أنتم عرفتم حال الأكراد ولم تعلمونا فسمع الخليفة الحال فعظم عليه ولم يقدر جلال الدولة على أخذ أولئك الأكراد لعجزه ووهنه واجتهد في تسليم الجند إلى نائب الخليفة فلم يمكنه ذلك فتقدم الخليفة إلى القضاة بترك القضاء والامتناع عنه وإلى الشهود بترك الشهادة وإلى الفقهاء بترك الفتوى فلما رأى ذلك جلال الدولة سأل أولئك الأجناد ليجيبوه إلى أن يحملهم إلى دار الخلافة ففعلوا فلما وصلوا إليها أطلقوا عظم أمر الغيارين وصاروا يأخذون الأموال ليلاً ونهاراً ولا مانع لهم لأن الجند يحملون على السلطان ونوابه والسلطان عاجز عن قهرهم وانتشر العرب في البلاد فنهبوا النواحي وقطعوا الطريق وبلغوا أطراف بغداد حتى وصلوا إلى جامع المنصور وأخذوا ثياب النساء في المقابر.

ولكثرة تشغيب الجند على جلال الدولة كان الخليفة يتداخل بين الفريقين متوسطاً في أمر الصلح ومع ما ظهر من ضعف جلال الدولة وسقوط هيبته سأل الخليفة القائم (سنة ٤٢٢) أن يخاطب بملك الملوك فامتنع الخليفة من ذلك فاستعان عليه جلال الدولة بالفقهاء الذين يلجأ إليهم السلاطين في مثل ذلك فافتى بالجواز القاضي أبو الطيب الطبري والقاضي أبو عبد اللّه الصبرفي والقاضي ابن البيضاوي وأبو القاسم الكرخي وامتنع من الفتيا أبو الحسن الماوردي وجرى بينه وبين من أفتى بالجواز مراجعات فأجاب الخليفة طلب جلال الدولة وخطب له بملك الملوك وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة وكان يتردد إلى دار المملكة كل يوم فلما أفتى بهذه الفتيا انقطع ولزم بيته خائفاً وأقام منقطعاً من شهر رمضان إلى يوم عيد النحر فاستدعاه جلال الدولة فحضر خائفاً فأدخله وحده وقال له قد علم كل أحد أنك من أكثر الفقهاء مالاً وجاهاً